

رواية قصيرة

بين أنياب البطالة

إهداء

- لكل عاطل عن العمل لا يزال بين أنياب البطالة
- لكل عاطل عن العمل استطاع النجاة من بين أنياب البطالة

اسم الرواية: بين أنياب البطالة

عدد الصفحات:58

لتواصل مع المؤلف عبر «Gmail» : zar10riwayat@gmail.com

قصة قصيرة من وحي الخيال تعكس الواقع

مقدمة:

كاتب هذه الرواية مبتدأ في الكتابة، وغير بارع في اللغة العربية، وهذه الرواية هي أول أعماله، حاول أن ينسج أحداثها بأسلوبه المتواضع.

(1)

جلس في ركن منزوٍ من مقهى كان قد ألِف الذهاب إليه منذ انضمامه إلى طوابير المنتظرين فرج الوظيفة، غدت حياته كئيبة، روتينية، مملة، مرة مثل مرارة قهوته التي يرتشفها كل صباح في مقهى بسيط في حيه الشعبي، مقهى "با حماد" الذي أصبح زبونا مخلصا فيه من فرط ارتياده الشبه اليومي له، لم يعد يسأله با حماد عن طلبه؛ إذ ما إن يراه حتى يحضر له تلقائيا قهوة مرة من كثرة عدم طلبه غيرها. كعادته وقبل شربه لقهوته يتصفح في حاسوبه إعلانات العمل عبر مجموعة من المواقع الإلكترونية المختصة بها، عله يتصادف مع عرض عمل ينقذه من البطالة وينتشله من روتينه اليومي الممل ويقيه

من نظرة مجتمعه القاسية التي تلاحقه باستمرار. كان كلما لم يجد مبتغاه من عروض العمل، تبدو علامات الامتعاض والمرارة على محياه يطفئها بارتشاف مرارة أقل منها مصدرها قهوته، ويتبعها بإشعال سيجارة يمتص دخانها بنهم، وينفثه بسرعة في الهواء، ثم يطفئها بعنف في طفاية السجائر، لكنه لما يتصادف مع عرض عمل يناسبه يشرب قهوته بسرعة ويخرج من المقهى ليذهب لإعداد الوثائق المطلوبة للمشاركة في المباراة.

في أحد الأيام بينما هو منهمك كعادته في البحث عن عرض عمل، شك أن أحداً يجلس بنفس طاولته، لما التفت ليتأكد من ذلك، رأى زميله القديم مراد، درس معه في كلية الحقوق، فقال له متعجبا:

-مرااد! كيف حالك؟ ماذا تفعل هنا؟ !

مراد: بخير والحمد لله. كنت مارا من هنا ورأيتك بمحض الصدفة منشغلا في البحث في حاسوبك. أين غبت عنا؟ لم نلتقي منذ التخرج ؟! حتى رقم هاتفك لم يعد يعمل!

أحمد: أستسمح فإن الأمر خارج إرادتي فقد سرق مني هاتفي بما فيه شريحة الاتصال منذ صيف تخرجنا.

مراد: لا بأس يا صديقي. هاه أي طريق سلكت بعد التخرج يا شاطر؟

قال أحمد بعد أن زفر بحنق شديد:

- يا أخي منذ التخرج وأنا في عداد العاطلين عن العمل. وجدتني منجرفا إلى دوامة من التيه في البحث عن عمل. وإلى يومنا هذا لازلت لم أجد عرض عمل ينتشلني من بين أنياب البطالة ومن روتيني اليومي القاسي الذي أصبح بمثابة سم بطيء أحتسيه يوميا.

بالمناسبة هل أنت بين أمواج البطالة أيضاً أم أنك وصلت إلى بر الأمان؟

قال له مراد وقد ارتسمت علامات الشفقة على وجهه من حال زميله:

أنا أعمل الآن محاميا بهذه المدينة.

دخل أحمد في سهو عميق، رجع به إلى ذكرياته حين كان طالبا، إذ كان يبذل قصارى جهده لولوج مهنة المحاماة، لكنه لم يتوفق يوما في النجاح في المباراة، وظل هكذا إلى أن خاطبه مراد، قائلا له كأنه توقع ما يدور بخلجات نفسه:

-لا تقلق يا أحمد ستحصل على الوظيفة التي ترجوها بإذن الله.

قال له أحمد وقد اتسعت حدقتا عينيه من فرط الغبطة:

-هنيئا لك يا مراد، أنت تعلم مدى كان حلمي بمزاولة مهنة المحاماة منذ أيام الكلية، فقد اجتزت المباراة مرتين، لكن بدون جدوى.

مراد: لا تحزن يا صديقي فالخير فيما اختاره الله، ستعمل في وظيفة أفضل منها إن شاء الله، ثابر واصبر فقط.

أحمد: إن شاء الله.

ودعه مراد معتذرا بأنه على موعد مع زبون له في قضية شائكة على أمل الالتقاء به في وقت لاحق. شرد أحمد مراقبا خطوات مراد لما ابتعد عنه، إلى أن رآه قد ركب سيارة تشي بأنه يتقاضى أجرا محترما من خلال وظيفته. بدأ أحمد يرثي لحاله أكثر، ويغبط على حال مراد، فها هو زميله الذي كان يقطن معه بنفس الغرفة أيام الكلية قد أصبح محاميا ناجحا بينما هو لا يزال بين أنياب البطالة.

بعد أن قضى مدة بالمقهى، ذهب إلى المنزل الذي يقع في زقاق ضيق بحي شعبي، يضطر دائما إلى تكبد عناء العبور منه في الذهاب والإياب، كان لا يسلم من نظرات الجيران خاصة منها تلك الصادرة من بعض النسوة اللواتي يجلسن في هذا الزقاق حذو منازلهن المهترئة، كان أكبر همهن هو تقصي الأخبار هنا وهناك، ولطالما كان يسمع وشوشات يتداولنها فيما بينهن، لما يمر بجانبهن، لكنه لم يكن يأبه بها.

بعد أن دخل إلى المنزل، شم رائحة طعام زكية تفوح في جميع أرجاء المنزل، اجتذبته إلى المطبخ حيث وجد أمه منشغلة بإعداد الطعام، قال لها متعجبا بعد أن ألقى عليها السلام وقبل يدها:

-ما هذه الأصناف والألوان من الطعام يا أمي، هل سيأتي ضيف اليوم؟

قالت له بإعياء: بل هم ضيوف يا بني. سيأتي عمك وزوجته وابنهم جواد.

أحمد: جيد، لم أرهم منذ فترة، خاصة جواد.

الأم: نسيت أن أقول لك أنه سألني عنك مؤخرا لما سافرت عندهم أنا وأبوك بمناسبة حفل زفاف أخته روان...، لقد تخرج من كلية الطب وأصبح طبيبا.

قال أحمد بعد هنيهة صمت تدل على غبطته:

-هنيئا له يا أمي.

فقالت له متأملة في قسمات وجهه، آهٍ يا بني كم أشتاق إلى ذلك اليوم الذي تصبح فيه موظفا أيضا. خرج أحمد من المطبخ وهو يرثي لحاله، عازما الخروج من المنزل والرجوع مجددا إلى المقهى.

كان يقضي أغلب يومه بين المقهى والمنزل. أصبح منعزلا، يتوارى عن الأنظار خشية نظرة مجتمعه، الذي يقصفه بنظرات مختلطة بين الشفقة والدونية، وهروبا من سؤال مرهق طالما يصدر كثيرا عن معارفه من أصدقائه وزملائه في الكلية وأقاربه بما فيهم الأطفال كلما التقى أو تصادف معهم "اش تادير فحياتك دابا ؟". كان لهذا السؤال وقع ثقيل على نفسه من شدة تحرجه القول أنه لا يزال في عداد العاطلين عن العمل.

بينما هو جالس في المقهى، رن هاتفه تزامنا مع ارتشافه لأول رشفة من قهوته، كان المتصل هو أمه، بحيث ما إن ضغط على زر الرد حتى خاطبته بصوت غاضب:

-أين أنت يا أحمد !، أنت تعلم بمجيئ الضيوف، فأين ذهبت؟ احضر حالا فعمك يسأل عنك.

قال أحمد وهو يخفي عنها أنه متواجد بالمقهى كي لا يشتد غضبها:

-حاضر يا أمي إني آت حالا.

ذهب إلى المنزل حيث وجد والديه والضيوف مجتمعين في صالون المنزل حول مائدة مستديرة مليئة بكل ما لذ وطاب من المأكولات التي أعدتها والدته، أبدى فرحته الكبيرة بزيارتهم،

وتجاذب أطراف الحديث معهم، وهنأ جواد بولوجه لمهنة الطب، شعر بالغبطة على ابن عمه الذي يصغره بأربع سنوات، وقد درس الطب لمدة سبع سنوات، وعمل بعدها بمستشفى عمومي، بينما هو لايزال تائها بين عروض العمل.

في خضم دردشتهم خرج عمه عن مجرى الحوار وسأله:

- ماذا تعمل الآن يا أحمد؟

انزعج أحمد من هذا السؤال، فحاول التهرب منه، فقال لعمه مازحا:

- الآن إني جالس أتجاذب أطراف الحديث معكم.

ضحك الجميع من خفة دمه، وأعاد عمه سؤاله بطريقة أخرى:

-أقصد ماذا تعمل الآن في حياتك؟

تحرج أحمد من سؤال عمه، خاصة لما طرحه بحضور أبيه فقال له بتحرج:

-لا أزال أبحث عن وظيفة.

تلطف معه الجميع بعدما لاحظوا تحرجه، وأكدوا له أنه ليس وحده من يعاني من البطالة، وطمأنوه بأنه سيحصل على الوظيفة التي يرجوها بإذن الله، عليه بالصبر فقط.

إلا أبوه الذي رمقه بنظرة تشي بانطلاق وابل من العتاب أتبعها بالقول:

-لقد نصحته بمزاولة تجارة ريثما يجد عملا كما يفعل أقرانه من العاطلين وكما فعل أخوه قبله، بدلا من ارتياده المقهى يوميا، حيث يبذر النقود في احتساء القهوة وتدخين السجائر، لكن بدون جدوى...

زاد منسوب التحرج لدى أحمد من كلام أبيه، فتدخلت أمه لتلطيف الجو، فنظرت لزوجها بنظرة لوم، كأنها تقول له بلسان حالها، أن يكف على العتاب على الأقل حتى يذهب الضيوف، وتصنعت ابتسامة في وجههم، وقلبت مجرى الحوار إلى منحى آخر، حتى يحافظ أحمد على ماء وجهه.

كانت أمه بمثابة السند له في محنته؛ إذ كثيراً ما كانت تتدخل لتليين الجو لما يغضب أبوه عليه، ويعاتبه، وتنصحه بعدم

مآخذته وتأكد له حسن نيته. كانت تواسيه وتسعفه وتزرع فيه الأمل بأنه سيجتاز محنته عما قريب. كما كانت تعطيه يوميا النقود التي يحتاجها خلسة عن أبيه قبل أن يطلبها منها.

(2)

لما انصرف الضيوف، ذهب أحمد لمقهاه المعتاد حيث دخن أكثر من المعتاد، ودخل بعدها في دوامة من السهو. بينما هو على حاله؛ لاحظ أن با حماد يقف حذوه متأملا فيه بابتسامة أبوية.

فقال له أحمد بهدوء وهو ينظر إليه بِطَرْف عينه:

-خير يا با حماد!

با حماد: أراك شاردا هذه الأيام باستمرار، ما بك يا ابني؟ والله أصبحت أشفق على حالك كثيرا، هل لازلت تبحث عن وظيفة؟

أحمد: نعم... وماذا عساني أن أفعل؟

قال له باحماد مبتسما كأنه وجد له حلا:

-يا بني،"اقضي بالنعالة تايجيب الله الصباط"

قال أحمد مقطبا جبينه: وكيف ذلك؟!

با حماد: زاول تجارة بسيطة ريثما تجد عملا..."

قاطعه أحمد وقال له: هل أبي من كلفك بأن تنصحني بمزاولة التجارة؟!

قال باحماد بعد أن صمت قليلا: صدقني يا أحمد أن أباك يريد لك الخير فقط.

انفعل أحمد ولم يجبه، فخرج على مضض من المقهى الذي كان يرتاده طيلة أربع سنوات من البطالة؛ عازما أن لا يرجع له مرة أخرى ويستبدله بمقهى آخر لا يعرفه فيه أحد. فقد أصبحت أعصابه جد متوترة، وغدا لا يطيق الحديث مع أي أحد ويغضب عن أبسط الأمور...

لذلك آثر أن يرتاد مقهى بعيدا عن حيه، فأصبح يقصد "مقهى النورس" الذي يوجد بموقع يطل على البحر، يقدم القهوة بنفس سعر المقهى الأول.

(3)

في أحد الأيام، بينما هو في هذا المقهى، متأملا في أمواج البحر من الأعلى، ومتنغما لأصوات طيور النورس، جاءته النادلة تسأله عما يريد أن يشرب، فأثارت حفيظته من سؤالها المتكرر كل يوم، بالرغم من ارتياده لهذا المقهى لمدة شهر، وعدم طلبه سوى قهوة سوداء، إذ لم يكن متعودا على هذا السؤال في المقهى السابق.

فقال لها بعصبية:

-أرجوك احضري لي تلقائيا فنجان قهوة سوداء "مررررة" كلما أتيت إلى هنا دون أن تسأليني ذات السؤال يوميا.

تعجبت لعصبيته فقد كان سؤالها عاديا ، إذ لم تألف مثل هكذا نوع من الزبائن الذين يتعصبون على البديهيات، حاولت أن ترد عليه وتنتصر لنفسها، لكنها اكتفت بالسكوت ردا عليه خاصة أنها التزمت أمام رب المقهى بالسهر على راحة الزبناء وعدم إغضابهم ومآخذتهم...، استدارت غاضبة بعد أن سجلت طلبه في مذكرة صغيرة وقالت بصوت خافت:

- إنسان همجي.

بعد أن قضى أمسيته في المقهى، هم بأن يرجع أدراجه إلى المنزل. بينما هو سائر في طريقه ناداه شاب من محل صغير مختص ببيع مواد البناء لما مر بجانبه، لم يتعرف عليه إلا بعد

لحظة تأمل في ملامحه التي لم تخف عليه، وعرف بعد هنيهة أنه صديق قديم تعرف عليه منذ دراسته بكلية الحقوق.

سلم عليه بحرارة قائلا له:

- سعيد!! كيف حالك؟

سعيد: بخير... اشتقت لك كثيرا يا صديقي.

أحمد: أستسمح لم أنتبه بوجودك هنا، ناهيك أني لم أتعرف عليك فورا، فقد تغيرت كثيرا في شكلك.

سعيد: أين كنت كل هذه الفترة؟ يبدو أن العمل شغلك عنا.

أجابه أحمد على نحو يحسم في سؤاله والأسئلة المتوقع أن يطرحها، فقد صار لا يطيق تلقي الأسئلة:

- منذ التخرج وأنا بين أنياب البطالة.

لكنه سأله مرة أخرى متعجبا: وهل منذ تخرجنا وأنت متفرغ للبحث عن وظيفة؟!

قال أحمد بتثاقل: نعم. منذ ذلك الحين أصبحت باحثا وكذا مفكرا.

سعيد: كيف ذلك؟!

قال أحمد بجدية: منذ تخرجنا أصبحت باحثا عن عمل ومفكرا في الهجرة.

دخل سعيد في ضحك هستيري من كلام أحمد... وأكد له في خضم ضحكه أنه اشتاق إلى طرائفه وأقواله التي كان معروفا بها أيام الكلية.

لم يضحك أحمد من فرط الألم النفسي الذي يعاني منه، فقال له سعيد متعجبا:

-ما بك يا أحمد؟ أين خفة دمك وروح الدعابة فيك؟ أراك كأنك تحمل الكرة الأرضية على رأسك؟ كفاني أني أرى هالات سوداء تحت عينيك لأستنتج عظم المعاناة النفسية التي تتكبدها. هل هذا كله بسبب عدم حصولك على وظيفة؟!

أحمد: وما غيرها؟

سعيد: البطالة صعبة فعلا، لكن صعوبتها تزداد لما نستسلم لها. فأنا أيضا وجدتني في عداد العاطلين لكن لم أقف مكتوف الأيدي، إذ عملت أجيرا في أوراش البناء، عاملا في الضيعات الفلاحية، بائعا للخضر... وبعدها أنشئت هذا المحل المتواضع، وبفضله والحمد لله ألبي مآربي على الأقل، دون حاجة لأهلي، ناهيك أني أجتاز المباريات باستمرار. هلا فعلت مثلي؟ فسلوكك هذا سينعكس سلبا على صحتك النفسية والبدنية.

قال أحمد بغضب: التجارة!! لم أدرس القانون لممارسة التجارة. فانصرف دون أن يعطي الفرصة لسعيد بأن يوضح له مقصده.

لم يكن أحمد مقتنعا بفكرة مزاولة التجارة، إذ ألح أن يظل على حاله إلى أن يجد وظيفة.

أكمل مسيره إلى المنزل الذي كان منهارا في صمت عميق، فقد كان والداه يخلدان إلى النوم باكرا، اتجه إلى المطبخ ليتناول كالعادة وجبة العشاء التي تتركها له أمه لما يتأخر في الخارج، ومن ثم صعد إلى غرفته اليتيمة الموجودة بسطح المنزل وارتمى على سريره البالي، تزاحمت عليه الأفكار التي تراوده كل ليلة حول مستقبله إلى أن سقط في غيبوبة نوم لم يوقظه منها إلا طرقات أبيه المتكررة على باب غرفته، يصاحبها عتابه المعتاد:

-هل ستظل نائما حتى الثانية عشرة؟، استيقظ فأقرانك استيقظوا باكرا وأنهوا أعمالهم، وأنت لازلت تتقلب في سريرك يمنة ويسرة!

شعر أحمد كأنه لم ينم إلا ساعة واحدة. أعد نفسه عازما على الذهاب إلى مقهاه المعلوم ليمضي فيه بقية نهاره.

(4)

دأب لشهور على الاستيقاظ متأخرا وقضاء يومه بين المقهى والمنزل.

لكنه في أحد الأيام بينما هو في المقهى، قرر أن يضع حدا لبطالته، لذلك غرق في التفكير لساعات لإيجاد حل لتداركها، فقد بلغ فيه الاكتئاب ذروته. أقنع نفسه بأن الهجرة هي ملاذه الوحيد للنجاة منها، لكنه سرعان ما وجدها حلما صعب المنال.

فكر في الحل الذي اقترحه عليه والده والعديد من الأشخاص الذين صادفهم، لكنه لم يستسغ أن يزاول الإجارة مالم ترتبط بمجاله، كما لم يحب أن يمارس التجارة أيضا. هرب من واقعه البئيس، فأشعل سيجارة وسها في تأمل أمواج البحر المتعاقبة،

وطيور النورس التي ملأت السماء، وبواخر قد غطاها الضباب يراها من بعيد.

بينما هو على حاله، سمع النادلة ترجو من صاحب المقهى أن يمنحها إجازة لأسبوع، تحتاجها لاجتياز مباراة في التربية والتكوين، فعرف أنها حاملة لشهادة الإجازة أيضاً، لم يكن يتوقع أنها كذلك!

استشعر أنه لم يبق له سبيل سوى أن يفعل مثل هذه النادلة، فيزاول إجازة ما، أو يمارس تجارة... كما نصحه أبوه وصديقه سعيد...، وعدم إثقاله من ثم لكاهل أمه بمصروف جيبه اليومي.

أنب نفسه بشدة على السنين التي ضيعها بين المنزل والمقهى في انتظار الوظيفة، ودخن سيجارة تلو الأخرى كأنه يريد الانتقام من نفسه، لكنه لم يلبث حتى أقنع نفسه أن التأنيب لن يجديه نفعا.

احتار في أمره، وبدأ عقله يفكر بسرعة، وآثر في الأخير بعد تفكير طويل مع نفسه بمزاولة تجارة بالرغم من كرهه لها منذ صغره، لكنه وجد أنه على الأقل سيكون حرا فيها نوعا ما، بحيث سيتأتى له اجتياز المباريات المهنية بسلاسة. لكنه احتار في نوع التجارة التي يمكنه مزاولتها، ومن أين سيأتي برأس المال لإنشائها.

قرر الاستشارة مع صديقه سعيد بشأن ذلك، فكثيرا ما استشاره وأخذ منه النصيحة أيام الكلية. خرج من المقهى واتجه مباشرة إلى متجر صديقه حيث وجده منشغلا بخدمة زبنائه، انتظر حتى فرغ المحل من الزبائن. فقال له:

- سعيد، كيف حالك؟

سعيد: أهلا أحمد.

أحمد: أستسمح على سلوكي المرة الفارطة فقد كنت منفعلا قليلا.

سعيد: لا عليك يا صديقي. فأنا أقدر شعورك.

أحمد: جئت لأستشيرك.

سعيد: خير إن شاء الله؟

أحمد: تعبت من البطالة وأريدك أن تدلني على تجارة أزاولها ريثما أجد وظيفة، فقد احترت في ذلك.

سعيد: نصحتك بذلك سابقا يا أحمد لكنك لم تأخذ بنصيحتي، فقد..

قاطعه أحمد بغضب قائلا:

-لم آتي عندك لتلومني. أرجوك إن كنت ستساعدني فافعل وإلا اتركني أمضي لحالي.

قال سعيد مبتسما: حسنا، حسنا، هدئ من روعك، ما رأيك في إنشاء محل لبيع الهواتف ومستلزماتها، فقد كنت مهووسا بها أيام الكلية.

قال له أحمد بعد أن أعجب باقتراحه:

-اقتراح جيد... لكني لا أمتلك رأس المال لإنشاء هذا المحل؟!

سعيد: إذن ليس أمامك إلا أن تعمل أجيرا...، أجيرا مثلا في ورشة بناء، الميناء، الفلاحة... لكي تتمكن من جمع رأس المال.

أحمد: لا أستطيع أن أعمل أجيراً لدى أحد، فحالتي الصحية لا تسمح لي بذلك، ناهيك أني أعاني من توتر عصبي يحول دون تقبلي للأوامر كأجير.

نظر إليه سعيد بنظرة شفقة وقال: إذا حاول أن تطلب المساعدة من والديك.

وأردف في حديثه قائلا بعد لحظة تفكير:

-وأنا سأساعدك بأن أبحث لك عن محل تجاري في موقع استراتيجي، وربما قد أستطيع أن أقرضك مبلغا صغيراً تسدد به مصاريف الكراء لمدة ستة أشهر.

نظر أحمد بنظرة إعجاب إلى صديقه: وشكره بشدة وانصرف.

(5)

ذهب أحمد إلى المنزل حيث أخبر أمه بأنه قد قرر أن ينشئ محلا صغيرا لبيع الهواتف ولوازمها.

فقالت له وقد انبلجت أساريرها: جيد يا بني، هذا أفضل من الهجرة التي أصبحت مهووسا بها ليل نهار منذ أن أصبحت عاطلا. وهذا ما نصحك به أبوك...

أحمد: لم أجد بداً من هذا الحل.

ثم أضاف بعد أن زفر بحنق:

-لكن المشكل يكمن في أني لا أملك رأس المال الذي أنشئ به هذا المحل.

ساد صمت قليل بينهما قبل أن تكسره أمه بقولها: إذن ليس أمامي إلا أن أبيع أسورتي الذهبية التي احتفظت بها منذ زفافي، لكن لا أظن أن عوضها سيكفيك لإنشاء المحل، لذا سأطلب من أبيك، وحتى من أخيك أن يساعدوك. فأنا أعلم أنك لا تستطيع أن تطلب منهم المساعدة.

تأثر أحمد من كلام أمه، وشكرها بشدة، وقبل يديها ورأسها، وانصرف إلى غرفته حيث انكب في دراسة جدوى مشروعه المستقبلي، وظل على حاله إلى أن نادته أمه:

- أحمد، انزل حالا فأبوك يريد التحدث إليك قليلا.

ذهب أحمد إلى غرفة المعيشة حيث وجد أباه متكأً يشاهد نشرة الأخبار على التلفاز، قبل يده وجلس بجواره مطأطئ

الرأس، منتظرا ماذا يريد أن يقول له، وبقي كذلك إلى أن اعتدل أبوه في جلسته حين انتهت الأخبار، ووضع يده على الطاولة التي تتموضع بالقرب منه، كأنه يريد أن يلقي عليه محاضرة، ومن ثم نظر إليه بنظرة كلها صرامة بعدما أزاح نظارتيه حذو أنفه.

اندهش أحمد لنظرة أبيه، فتهرب منها لحدق في شاشة التلفاز.

بعد مدة يسيرة من تحديق أبيه فيه. قال له بغضب:

-ألم أقل لك أنك تدور في حلقة مفرغة، كنت أعلم أنك لن تلبث حتى تعود لنصيحتي التي وجهتها لك منذ أربع سنوات مضت. ها أنت أضعت وقتا يعادل السنوات التي درستها في الكلية، بدلا من أن تنهج مسارا يعود عليك على الأقل بفائدة

تذكر ريثما تجد وظيفة، كنت قد نصحتك بمزاولة تجارة بعدما رفضت أن تعينني في تغذية المواشي بالبادية، وجني الخضر وجلبها إلى المدينة لبيعها بالجملة...

ولازال أبوه يعاتبه ويذكره بانزلاقاته، بينما هو يكتفي فقط بالسمع، إلى أن تدخلت أمه؛ وقالت موجهة الكلام لزوجها:

-وهل هذا وقت اللوم؟

لكن سرعان ما رد عليها بقوله: دعيني أذكره بأخطائه عله يستفيد منها.

أحمد: أنت لا تعرف معاناتي يا أبي، لم أكن مقتنعا آنذاك بمزاولة التجارة في الوقت الذي كان جل زملائي يدرسون في المحاماة،

التوثيق، الإدارة...، وكنت أخشى نظرة أفراد العائلة والجيران...، إذ ماذا سيقولون عني؟

قال الأب بصوت عالٍ: ولماذا اقتنعت بها الآن وقررت أن تنشأ محلا لبيع الهواتف؟!

قال أحمد متؤثراً: لم أقتنع بذلك حبا في التجارة. إنما وجدتني مضطرا لمزاولتها. فلم أجد حلا آخر.

حاولت الأم كعادتها تلطيف الجو، فأمرت أحمد بأن يصعد إلى غرفته، وأكدت لزوجها أن اللوم لن يأتي إلا بنتائج جد سلبية، وأن الحل هو أن يمنحه مبلغا ماليا يمكنه من إنشاء ذلك المحل.

لكن سرعان ما قال لها:

- أنى لي أن أساعده؟ وأجرتي لا تكاد تكفيني حتى لسد حاجيات المنزل، كنت قد نصحته فعلا بممارسة التجارة منذ أن أصبح عاطلا، لكني لم أعده بأن آتي له برأس المال.

قالت له غاضبة: وما هو الحل إذن؟

فرد عليها بسرعة قائلا: الحل هو أن يعمل أجيرا كما فعل أخوه قبل أن ينشئ تجارته ويصبح من ثم موظفا، إذ عمل أجيرا في الضيعات الفلاحية إلى أن جمع رأس مال بسيط، مكنه من فتح محل بقالة.

قالت له متعجبة: أجيرا؟! أنت تعلم أن نفسيته منهارة، وحالته الصحية يرثى لها، فأنى له الجهد بأن يعمل أجيرا؟ لذلك يجب

عليك أن تعينه ولو يكلفك ذلك أن تبيع البقرة التي تربيها بالبادية.

قال لها غاضبا: البقرة؟! سنة كاملة وأنا أتكبد عناء الذهاب للبادية لتغذيتها والعناية بها بينما هو يغط في النوم، وفي الأخير أبيعها وأعطي مقابلها له؟!

ولنفترض أني بعتها وأعطيته مقابلها. فهل يكفيه لإنشاء المحل. وأردف قائلا،

- لن يكفيه حتما.

قالت له وهي تتوقع ردة فعله: إني أريد أن أبيع أسورتي لأساعده.

فقال لها غاضبا:

-أسورتك التي أهديتك منذ زواجنا؟! هل جننت؟

وبقيت تحاوره حتى أقنعته بمشقة الأنفس ببيع البقرة ومنح مقابلها لأحمد؛ وكذا بأن تبيع أسورتها...

فاتجهت إلى غرفة أحمد، وأبلغته بأن أباه قبل أن يساعده وأكدت له أنها ستبيع أسورتها من أجله، لكن أخفت عنه رفض أخيه بأن يعينه فقد اتصلت به عبر الهاتف وطلبت مساعدته، لكنه أبى ذلك قائلا لها:

-"إنه يملك يدين، فليعمل بهما إذن، فقد مررت بوضع أشد منه، ومع ذلك عملت إلى أن تمكنت من جمع رأس المال ثم أنشأت محل بقالة..."

شكر أحمد أمه كثيرا وأكد لها أنه سيعوضها وأباه، كل ما أنفقاه من أجله.

(6)

بعد مرور بضعة أيام، وجد أحمد متجراً بإعانة من صديقه سعيد، يقع في تجمع سكني، لا يعرف تنافسا كبيرا في تجارة الهواتف، فقام باستئجاره بعدما أقرضه سعيد مبلغا من المال يكفيه لسداد ستة أشهر من الإيجار، وقام بتهيئته وتجهيزه ببعض الهواتف والقليل من اللوازم المطلوبة في السوق بعدما مكنته أمه من رأس المال الذي حصلته من بيع أسورتها، ومن المبلغ الذي منحها أبوه.

بدأ أحمد يعمل في متجره بجدية، كان يستيقظ باكرا ويقضي يومه في المتجر، ولا يعود للمنزل إلا بعد أن يغلق التجار محلاتهم، كان يعمل جاهدا من أجل تحصيل ربح من تجارته

لكنه بالكاد ما كان يجني أرباحا قليلة جدا. أكد له صديقه سعيد أن الأمر عادي، وأنه سيواجه صعوبة كبيرة في البداية، لكن سرعان ما ستتيسر له الأمور بإذن الله.

بعد مرور سنة كاملة من العناء، تعلم أحمد طريقة التعامل مع الزبناء وكيفية جذبهم، واختيار السلع المطلوبة، وتحديد متاجر الجملة التي تبيع السلع الجيدة بأثمنة مناسبة، وطريقة حساب أرباحه... كان يستأنس ببعض الكتب المختصة تساعده لتنمية تجارته، بالإضافة إلى استشارته مع صديقه سعيد الذي كان يواكبه باستمرار.

رويدا رويدا نما أحمد تجارته، وأصبح متجره معروفا في ذلك التجمع السكني، الشيء الذي انعكس إيجابا على أرباحه إذ

أصبح يجني أرباحا لا بأس بها، بالرغم من ظهور منافسين له من بعد.

فرح والداه كثيرا بإنجازه، خاصة لما أصبح يساعدهم في سد حاجيات المنزل.

استشعر أحمد أنه من الواجب عليه أن يشكر صديقه بشدة على مساعدته له باستمرار وبدون مجاملة، أو تثاقل.

لذلك في أحد الأيام، استغل لحظة جلوسهما بإحدى المقاهي وقال له:

- أشكرك يا سعيد على نصائحك وتوجيهاتك لي منذ أن فتحت المحل، كنت في حالة صحية يرثى لها بسبب البطالة، والآن

والحمد لله قد شعرت كأنني انتصلت من بين أنيابها، وأنت كنت سببا في نجاتي منها.

سعيد: لا داعي للشكر يا صديقي، هذا واجب، فـ"الصديق وقت الشدة". لقد فرحت كثيرا لما رأيتك تنمي تجارتك وتوجهها نحو الأفضل.

قال أحمد بعد أن أشعل سيجارة ونفث دخانها، لا أدري كيف أشكرك، فما قدمته لي لم يسبق أن قدمه لي أحد من أصدقائي، حقا إنك صديق وفي يا سعيد.

قال له سعيد بعد تردد: ستشكرني إن أقلعت عن عادة، وتبدأ أداء عبادة.

تفاجئ أحمد قائلا: ما هي هذه العادة التي أقلع عنها؟!، وما هذه العبادة التي أبدأها؟!

قال سعيد مبتسما: أن تقلع عن التدخين، وتبدأ أداء الصلاة...

فقال له أحمد كأنه تذكر شيئا:

- الصلاة!

وأردف قائلا:

- لم أصلِّ منذ مدة، لكن أعدك أني سأحاول أن أبدأ أداء الصلاة في أقرب وقت، لكن التدخين لا يمكنني أن أقلع عنه، فقد أصبحت مدمنا عليه إلى حد النهم...، فقد كانت السيجارة أنيستي طيلة أيام البطالة، فقد أصبحت أحبها بالرغم من أنها تنشر مادة النيكوتين في جسمي. فعلى

الأقل لم تضرني إلا بمحض إرادتي، ولم تلزمني بتدخينها، فأنا الذي قدمت إليها، وسمحت لها منذ البداية بأن تضرني، ومن ذلك الحين وهي لا تتردد بنشر نيكوتينها في جسمي..

- قال سعيد مبتسما: ما هذه الفلسفة يا أحمد، أراك تدافع بشدة عن السيجارة كأنها أضافت لك شيئاً، وهي في الحقيقة لا تزيد إلا في هلاك صحتك، وتهددك بالإصابة بسرطان الرئة أو الحنجرة...، والإدمان لا يحول دون الإقلاع عن التدخين، فأنا أيضا كنت مدمنا، لكني أقلعت عنه بالرغم من المعاناة التي تكبدتها في البداية...

-

وأضاف قائلا بجدية:

-يجب عليك أن تقلع يا صديقي عن التدخين قبل أن يهلك صحتك.

قال أحمد وقد أشعل سيجارة ثانية:

-سأحاول.

(7)

انهمك أحمد في مزاولة تجارته، وحرص على تنميتها والعناية بها، إلى أن حسنت حالته المادية. وحتى حالته البدنية والنفسية، خاصة بعدما عمل بنصيحة صديقه التي رددها على مسامعه مرارا، بحيث أقلع عن التدخين بتتبع مع طبيب مختص، بالإضافة إلى أنه أصبح يحرص على أداء الصلاة في وقتها بما فيها صلاة الفجر.

بالإضافة إلى أنه حرص على اجتياز كل المباريات المهنية التي ترتبط بتخصصه، لكنه لم ينجح في أي منها، إلا أنه لم يكن

يزعجه ذلك، فقد أصبح يجتازها بأريحية عن ذي قبل، مادام يعمل في التجارة ويكسب منها ربحا لا بأس به.

بعد عامين من مزاولته التجارة، أخبره سعيد على أنه تم فتح مباراة للمتصرفين الإداريين، كانا قد اجتازاها مرتين، لكن لم يتوفقا في النجاح فيها.

شاركا فيها مجددا، وخصصا حيزا زمنيا للتحضير لها بعد أن تم استدعاؤهما لاجتيازها، وبعد شهر اجتازا الاختبار الكتابي؛ ومن ثم الاختبار الشفوي.

وبعد مدة تم الإعلان عن نتائج المباراة، فكانت المفاجئة أن كلاهما نجح في الاختبار الشفوي، وقبل للعمل متصرفا إداريا.

فرحوا بذلك فرحا عارما، وزفوا الخبر لوالديهم، الذين فرحوا بدورهم حتى لم تسعهم الفرحة...، ومن شدة الفرح نشرت أم أحمد الخبر بين كل أفراد العائلة وحتى الجيران...، فشاركتهم طائفة منهم فرحة نابعة من فطرتهم السليمة، بينما طائفة أخرى تلقوا الخبر كصاعقة من فرط الحسد، فقد صعقوا لما علموا أن أحمد فتح متجراً لبيع الهواتف ولوازمها وودوا لو أنه بقي بين أنياب البطالة، وهاهم يصعقون للمرة الثانية لخبر توظيفه متصرفا إداريا، وتمنوا لو ينزعوا عنه هذه النعمة التي أصابته على حين غرة.

تلقى أحمد التهنئة من بعض أفراد عائلته، وبعض أصدقائه وزملائه بعدما سمعوا الخبر، وأكدوا له بأنه صار مدينا لهم

بوليمة...، بينما البعض الآخر منهم خاصة بعض أصدقائه الذين ظن بهم خيرا، حسدوه على منصبه الجديد بالرغم من ولوجهم إلى الوظيفة منذ أن كان عاطلا، فقد كانوا يتلذذون ويشعرون بتقدير ذاتي، لما كان بين أنياب البطالة، أما بعد أن تنصل من بين أنيابها استشعروا أنه أصبح يقف على قدم المساواة معهم، ويضاهيهم...، لذلك فقد استبعدوه وتغيرت معاملاتهم معه إلى الأسوأ من فرط الحسد.

ظل أحمد وسعيد فرحين بنجاحهم، لكنهم لم يلبثوا حتى انقلبت فرحتهم إلى حيرة، إذ احتاروا في الاختيار بين التجارة التي نموها إلى أن أصبحوا يجنون من خلالها أرباحا كبيرة، أو

الولوج إلى الوظيفة والتخلي على التجارة، وذلك لأن الوظيفة تتنافى مع التجارة.

بعد مدة من التفكير، قرر أحمد أن ينتصر لطموحه وتخلى عن التجارة واختار ولوج الوظيفة، بينما ارتأى سعيد أن يتخلى عن الوظيفة ويبقى تاجرا لمواد البناء، إلى أن يصل إلى طموحه ويؤسس شركة صغيرة في توزيع مواد البناء.

(8)

بدأ أحمد عمله الجديد، كمتصرف إداري، وحاول أن ينسى مجال الهواتف ولوازمها التي انشغل بها لمدة كبيرة، ليتفرغ للقيام بالمهام الإدارية المنوطة به على أحسن وجه، لم يتكيف مع عمله الجديد إلا بعد مرور سنة من العمل، أصبح بعدها يقوم بمهامه بتلقائية كبيرة. بعد أربع سنوات من العمل، حرص على اجتياز مباريات الترقية لكي يترقى إلى درجات أعلى في وظيفته... أما صديقه سعيد فقد شق طريقه نحو طموحه، وأسس بعد جهد جهيد شركة صغيرة في توزيع مواد البناء، سرعان ما أصبحت شركة معروفة، أبرزت منافستها وفرضت وجودها في

السوق، وذلك لكونها لاقت إقبالا كبيراً من طرف عدداً من تجار مواد البناء...

بعد ستة سنوات من العمل في الوظيفة تزوج أحمد مباشرة بعد زواج صديقه سعيد، ذلك أنه ألح أن يبقى عازبا إلى أن يتزوج صديقه أولا.

عزم أحمد منذ زواجه بأن يكتب قصته مع البطالة، ويحكيها لأبنائه وأحفاده لكي يستفيدوا منها، فقد خشي عليهم من أنيابها الساحقة.